قضايا الأدب والأدباء

من رودنسون .. واليه

تلقى رئيس تحرير « الآداب » من الكاتب الفرنسي مكسيم رودنسون الرسالة التالية التي ننشرها مع تعليقنا عليها :

سيدي ،

أخذتني الدهشة حين قرأت في أحد الاعداد الاخيرة من مجلة « الآداب » مقالا عنيفا موجها ضدي بقلم السيد اسماعيل المهدوي . ولم يكن مضمون المقال هو سبب دهشتي وانما اعتقادكم بضرورة نشره ، على صفحات مجلة كنت أعتقد حتى الآن انها أهل لكل احترام وتقدير .

ان اسماعيل المهدوي شخص على شيء من الاضطراب وعدم التوازن ، أتى لزيارتي بناء على توصية من أصدقائي المصريين ليطلب اليّ من بين أشياء أخرى ان يقوم باعداد رسالة جامعية Thèse تحت اشرافي . ولقد أحضر لي مجموعة من المقالات التي كان قد كتبها عن أعمالي السابقة، وكلها مقالات تفرط في الثناء عليّ ولكن على نحو يعوزه الذكاء والفهم ، ولذا فلم يدهشني فوق ذلك انتقاله الى الانتقاد العنيف بنفس الطريقة . والمقال الذي أرسله اليكم يتألف من بعض الجمل التي قلتها أثناء المحادثة الخاصة التي جرت بيني وبينه . وتلك الجمل محرّفة عن معناها في جانب منها ومشوهة في جانب آخر . وعلى أي حال فليس من المتعارف عليه بالنسبة لجهاز صحفي جاد أن يستشهد بأقوال من هذا النوع لا يمكن اطلاقا اخضاعها للتحقيق الدقيق . واني لاعجب ماذا يمكن أن يحدث لو نشرت الاقوال التي أطلقها على هذا النحو عدد كبير من الزعماء العرب .

أما الجانب الآخر من مقال المهدوي فيتكون من هجوم يستند الى فقرات معينة من كتابي الاخير . وهنا أيضا الاحظ ان تلك الفقرات مبتورة حيث فصلها الكاتب عن سياقها أو شوهها ، ويرجع ذلك بشكل خاص الى ان السيد المهدوي يبدو انه يعرف اللغة الفرنسية معرفة سيئة غاية السوء . ويبقى ان أقول بأن اسماعيل المهدوي ، ذا العقل المذهبي القليل التوازن ، ربما قد أصيب بالصدمة بسبب بعض من أقوالي حيث انه كان يضع نفسه في اطار رؤية للاشياء قوامه الوحيد هو العراك والمساجلة ، على حين كنت أقف أنا ، مثلما فعلت دائما ، في اطار الرؤية التي يراها مراقب أجنبي . والحق انني لم أتعود ان أتخذ « وضع » الشخصية التي توحي بأنها أكثر عروبة من العرب . وأفضل أن أترك هذه المهمة لآخرين غيري . ففي رأيي ان مواقف من هذا النوع لا يمكن الا أن تثير السخرية وتوحي بعدم الثقة . ولست أدعي انني محارب في أحد الجيوش العربية ولا حتى انني مناضل عربي . فلقد قدّرت منذ فترة بعيدة بأن دوري ينبغي أن ينحصر في أن أشرح بتعاطف ، لجمهور من الاوروبيين ، الدوافع الحقيقية للنضال العربي ، وأن أوضح بأن تلك الدوافع لا تنبع من الكراهية الخالصة ، ولا من نزعة مناهضة السامية ، ولا من التعصب الديني ، مثلما يسود الاعتقاد في أوروبا بشكل عام ، بل انها تستمد جذورها من رد فعل قابل للفهم والادراك تماما ، مهما يكن الاختلاف في الرأي على موائمته ، ضد الطعنة التي وجهت الى الحقوق العربية في فلسطين . وطبيعي الا يكون هذا الموقف مفهوما دائما من جانب أكثر المناضلين انخراطا في المعركة والذين يريدون ما هو ابعد من ذلك : الانحياز الكلي الى جانب ستراتيجيتهم وتكتيكهم (الامر الذي لم تتفق عليه مع ذلك كثير من الحكومات والجماعات العربية والمجموعات الفلسطينية المختلفة) ، يريدون تماثلا كاملا مع قيمهم ومع أهدافهم في ذلك النضال . ولكن العرب هم الذين عليهم أن يقرروا أي المواقف أشد نفعا لهم : مزايدة لفظية أم شرح حيادي متجرد وهادىء لاوضاعهم . ويبدو لي ان نفرا من العرب قد قدروا بأن نشاطي لم يكن ضد المصلحة العربية .

وأيا كانت الاسباب فلم يكن من المقبول نشر مثل هذا المقال الذي يقوم على هجوم عنيف ، دون التأكد من صحة مزاعمه . ولست أعتقد انني قد فعلت حتى الآن شيئا يستحق أن يواجه بمثل هذه العدوانية المسبقة . وعلى ذلك فانني أعتبر نشر هذا المقال تصرفا غير ودي من جانبكم ، وبالتالي فانني لن أستأنف أي علاقة معكم شخصيا ولا مع مجلة « الآداب » قبل أن تنشروا اعتذارا في نفس المكان الذي ظهرت فيه اتهامات السيد اسماعيل المهدوي وهجومه علي .

وأرجو ، يا سيدي ، أن تتقبل تحياتي .

باريس — مكسيم رودنسون

تعليق « الآداب »

من حق السيد رودنسون بالطبع أن يوضح أمورا كانت خافية ، من مثل دعواه ان الكاتب السيد المهدوي قد حرّف بعض الجمل التي أدلى بها أثناء المحادثة الخاصة التي جرت بينهما ، وشوّه جملا أخرى . ونحن نترك الرد على ذلك للسيد المهدوي نفسه . ولكننا لا نعتقد انه كان من واجبنا أن نبعث اليه نسأله ان كان قد أدلى حقا بهذه التصريحات لكاتب تربطه به رابطة سابقة على الاقل ، فضلا عن ان مقالاته السابقة عنه ، كما يعترف السيد رودنسون نفسه ، كانت « تفرط في الثناء عليه » بصرف النظر عن قيمتها ... ان الطبيعي ، والحالة هذه ، أن نتلقى مقال المهدوي من غير حذر ان لم نقل بثقة ، وهذا ما فعلناه ، ولا نحسب ان ملامة تقع علينا من جراء ذلك .

قصيدتان في الحب

١ ـ شاعر ١٩٦٨

وتلويت مع الريح ، تلويت شراعا
وعرفت الشمس في دمعة عينيك خداعا
آه يا صوت بلادي ،
يا شرايييني التي مزقها نجم ، وضاعا .
انني أقسم بالخبز الذي يجهل موتي
وبأيامي التي تمضي مع الريح سراعا ،
ان في دمعة عينيك بشائر
وأغاني ،
... آه يا صوت بلادي
آه لو أزرع في خديك قبله
دون أن تحملني خلف سطور لا أراها
أو تراني .

صدقيني يا بلادي
ان في دمعة عينيك ضياعي
فاذا مزقت في الريح شراعا
سأغنيك شراعا لا يهاجر
واذا علمتني الصوت ، ومزقت قناعي
سأغنيك ، كما غنّاك شاعر
واذا ألقيت ظلي مرة دون وداع
سأغنيك ، لاني
شاعر أقسم بالخبز الذي يجهل موتي
وبأيامي التي تمضي مع الريح سراعا .
يا بلادي
يا شرايييني التي مزقها نجم ، وضاعا .

٢ ـ الفارس

جاء مثل العشب مزهوا ،
وفي عينيه خوف
وعلى جرح يديه
ظمأ الارض ، وظل لسحابه
انه يبسط للضحك يديه ،
ويعري لرمال الفيظ صدره .
جاء مثل العشب مزهوا وفي عينيه خوف
وكآبه ،
يلد العرس أكاليل ، ويعطي شفتيه
لغة تحمل سحره
انه في الصمت أجراس وحرف
وصلاة لبلادي .
... انه يأتي ، وفي جرح يديه
نجمة خضراء تغفو .

بغداد

فوزي كريم

أما أن يكون المهدوي قد حرّف كلاما لرودنسون ، فهذا شأنه وحده ، ومن شأن رودنسون وحده أن يرد عليه ويصحح التحريف . وقد نشرنا مقال المهدوي لانه راي من الآراء في كتاب صدر وأصبح ملك القارىء . ولهذا لم نكن ننتظر من المؤلف الفرنسي أن يغمز من قناة «الآداب» التي كان يعتقد « حتى الآن انها أهل لكل تقدير واحترام » فهو يعرف تماما ان الدار التي تصدر عنها « الآداب » قد كتبت الى ناشره الفرنسي تستأذنه في نشر ترجمة عربية لكتابه موضوع الخلاف ، وانها استعجلته هو شخصيا ، بواسطة صديق للطرفين ، للتدخل لدى دار النشر الفرنسية لمنحها حق الترجمة ، وانه استعجل فعلا ناشره الفرنسي الذي أرسل لنا العقد ، وان دار الآداب كانت عازمة حقا على نشر الكتاب ، لما تعرفه من مواقف السيد رودنسون السابقة في تأييد وجهة النظر العربية . ولكننا حين تلقينا نسخة الكتاب وقراناها ، عدلنا عن ترجمة الكتاب لاعتقادنا بأن المؤلف قد غيّر موقفه على الاقل ، وان في الكتاب آراء جديدة لا تخلو من خطورة ، وهي قابلة للدحض ، ولا يستطيع المثقفون العرب أن يقروها . وقد أشار الدكتور عبد الله عبد الدائم في مقاله المنشور في هذا العدد الى عدد من المزالق في كتاب رودنسون تكاد في راينا تذهب بالقيمة الايجابية فيه . من هنا أعطينا الكاتب المهدوي حق مناقشة الكتاب ، وان كانت هذه المناقشة قد اتسمت بالعنف والانفعال . ثم تركنا لمواطنه السيد وحيد النقاش أن يرد عليه بلهجة لا تقل عنفا . وهذا يعني اننا لم يكن لدينا موقف متحيز مسبق ضد السيد رودنسون ، وهذا يعني بالتالي انه يستجيب هو أيضا لانفعال غير مبرر حين يغضب لنشرنا ذلك المقال الذي يتحدث عن تغيير موقفه . وليس لنا في الواقع اعتراض على حقه في تغيير موقفه بين دراسته « اسرائيل واقع استعماري » وكتابه « اسرائيل والرفض العربي » ، ولكن عليه أن يعترف بحقنا ، نحن أيضا ، في ابداء رأينا ومناقشة آرائه ، حتى ولو صدرت بعض الاخطاء فيما كتبه كاتب عن دراسته الجديدة . ان ذلك يواجه بالنقاش والرد والتصويب ، وصدر « الآداب » مفتوح لذلك كله . وكان الاجدر بالسيد رودنسون أن يناقش المهدوي ويخطئه ويصوب آراءه ، بدلا من أن يغضب لنشرنا المقال ويطلب منا أن نعتذر عن نشره !

« الآداب »